

في الشعر الفدائي المعاصر التشكيل الثوري في «اغنيات للمعركة» بقلم محمد الجزايري

(١) الشعر والفدائي الثوري :

الفدائي الثوري كمناضل يستوعب ابعاد المعركة ، وابعاد الثورة العربية المعاصرة ، ويحقق فعلها المنجز على الارض العربية .
ففي هذا الظرف الخطير الذي تخارب فيه آلام الشعب وتطلعاته الثورية بعناد وصلابة ضد تخلف معركة الاسلحة والرجال العسكريين، يقف العمل الفدائي الثوري في قلب المعركة ويقف الشعر في الطليعة كلفة ملهمة ودافعة ومحركة ..

في هذا الظرف بالذات يصرخ في اعماقنا صوت الضرورة التاريخية من ان الشعر ينبغي ان يخدم قضية الفدائي الثوري عبر الخلق الذاتي للشاعر كفنان ، وكمعركة آنية تتزاحم كل التحشيدات وعلى جميع المستويات لكسبها ، نجد ان النقيض يظهر ايضا بدلالاته المعادية، ففكر او اقتصادا ، او سياسة ، او عسكرة .. الخ.. لذا فان البعض لما يزل يتحدث عبر شعره بلغة (اليوت) المجردة ، والفكر الضبابي المشبع بروح الانا والذات فيخدم بذلك نفس المخطط الامبريالي الذي اوجد المجلات والمنظمات والمؤسسات الثقافية التي تمولها المخابرات المركزية الاميركية .. وهنا لا نريد ان نرفض اي شعر لا يقف مع الفدائي الثوري بشكل خالص .. كلا ، فللشعر جوانبه الانسانية الثرة ، وله اكثر من بعد للتعبير الانساني الذي يخدم في خطه العام قضية الفدائي الثوري .. بل اننا نرفض الشعر الذي يقف في الجبهة الاخرى ، المعادية لقيمنا الثورية ، ولعركتنا الواسعة على ارضنا العربية بطولها وعرضها .

والفدائي الثوري الذي تتسع آفاقه لتحتضن كل التطلعات الثورية المشروعة على ارضنا العربية يشكل في ذات الوقت الخلفية المتماسكة التي تدفع وتغذي معركتنا في الارض المحتلة - خاصة - اذ ان المعركة لم تفصل يوما ما بين ما يواجه العراقي او الجزائري او السوري او المصري ، وما يعاينه اللبناني او الاردني والسعودي والمغربي والتونسي .. الخ.. وما يجب ان يكون عليه العربي الثوري في كل مكان لكسب رأي عام عالمي لقضيتنا الملتهبة .

ان الفدائي ، ليس المناضل على الارض المحتلة وحده ، لان النضال في البلدان العربية الاخرى لخلق الانظمة والملاكات والطاقت والمناخات الثورية التي يجب توفيرها لثورة الفدائي على الارض المحتلة ، بانت ضرورة تاريخية ، وواقع الضرورة هذا يفرض النضال الفدائي على ارض فلسطين وسيناء - مثلا - مع الفدائي في كل مكان الذي يحارب ليس بالبندقية وحدها ، بل بقلمه وجهده وطاقاته .. ومن هنا يكتسب الشعر العربي بعدا جديدا ، هو بعد الفدائي الثوري المعاصر .. اذن .. فحين نضع « اغنيات للمعركة » في صف القصائد الالوفى لقضية الفدائي الثوري فذاك لان اسهام الشاعر العراقي هو جزء من عملية الاسهام الكبرى التي تضم كل العناصر الثورية والتقدمية في بلداننا العربية والعالم ، لخدمة قضية المصير العربي الراهن . فالشاعر ينطلق من ادراك الفدائي الثوري لما يهدد مستقبنا من اخطار، حين يقول :

« قبل ان تصهل نار الربيع

ادركنا معا

ان يوما غائم الاحداق آت » (٤)

لذا فان وعي الفدائي الثوري « ادرك » ان عدوان الخامس من

(٤) ظل على وجه الجراح : الاداب ، نيسان ١٩٦٨ .

تقف القضية الفلسطينية على رأس المهام الآنية المطروحة عسكريا وسياسيا وفكريا واقتصاديا ، بسبب الارتباط الجذري بين واقع المعركة الفلسطينية خاصة وواقع المعركة العربية عموما ، وواقع النضال ضد الامبريالية بشكل اعم . ولاجل ذلك ، دفعت القضية الفلسطينية بالعمل الفدائي - كاسلوب كفاحي ، في مواجهة الوجود الاستعماري الصهيوني على الارض المحتلة - في مقدمة اساليب الكفاح الآنية .

والشعر ، كأداة تعبير ، قد ارتبط عبر شعراء الارض المحتلة والشعراء العرب الثوريين في كل مكان بالقضية الفلسطينية ، آتيا ، ليوسع ابعاد التحرك من خلل ابعاد التناول وآتيته ، اذ ان الشعر ، اكثر الاشكال الادبية ، واسرعها تعبيرا عن الحدث .

ولقد تحدثنا عن « المقاومة بالكلمة » عبر ادب المقاومة وشعر المقاومة في الارض المحتلة بالذات ، وبوجه خاص شعر توفيق زياد ، كنموذج للشعر الفدائي الثوري (١) .. ولكن سعة المفهوم الفدائسي باتت من الاهمية بحيث شملت الشعراء الثوريين الذين تناولوا جوانب المعركة وابعادها في بلدانهم بارتباطها الوثيق مع معركة الارض المحتلة وضمن خيط انساني عام يشدها بنضال الامم وجبهة الشعوب المعادية للاستعمار والمتطلعة للتححرر الوطني .

فالشعر الثوري ، اذن ، تشرب من خلال تعبيره عن ابعاد معركتنا الكبرى ، بفدائية معاصرة ، هذه الفدائية ، هي روح الرفض الايجابي والنضال الدائب لتغيير بنيات الانظمة التي يحول وجودها وذهنيتهما او يعيق ، او يعرقل ، عملية التحرر الناجز في الارض المحتلة . وهكذا بات الشاعر الثوري في العراق ، الذي يقف المعركة ، من على ارضه الثورية يلتقي باكثر من آصرة مع شاعر المقاومة فسي الارض المحتلة وشاعر المقاومة في كل مكان ، عبر تاريخ النضال الوطني لشعوب العالم ايضا ..

لذا لم تعد اشعار « آراغون » غريبة عنا مع ما فيها من ملامح فرنسية ، كذلك لم تعد اشعار غويلن او اي شاعر من فيثنام كالشاعر « كوانك نوان » او غيره بعيدة عنا ..

لذا فحين بعث الشاعر العراقي الفريد سمعان بقصائده السى « الاداب » (٢) بعد صمت طويل ، وبعد احتجاب وراء الجدران وخلل رحلة التطواف النبيل في عالم الالم والمعاناة ، احسنا انه يلتحم بقضية الفدائي الثوري والمعركة عبر شعر احلى واقوى من قصائده السابقة التي احتوتها دواوينه الخمسة (٣) . لذا فحين غنى الشاعر (الى الفئيطرة) و (الى فتوى طوقان) و (الى ابي سلمى) والاخرين احسنا ايضا روح الفدائي الثوري تكمن في اشعاره ، اذ جسد لنا

(١) الاداب : العدد العاشر ، السنة الخامسة عشرة ، تشرين الاول ٦٧ : المقاومة بالكلمة في شعر توفيق زياد .

(٢) الاداب : العدد التاسع ، ايلول ، ص ٢٨ - ٢٩ ، والاداب : العدد الرابع ، نيسان ٦٨ . نشرها في ديوانه « اغنيات للمعركة » الذي صدر في بغداد عن دار الرصافي للنشر والذي نتعرض له هنا بالنقد ..

(٣) اصدر الشاعر خمسة دواوين هي « في طريق الحياة » و « قسم » و « رماد الوهج » و « كلمات مضيئة » و « طوفان » .

حزيران سيفع كاجراء مقابل للوهوض الثوري في المنطقة العربية ،
فالشعر هنا حقق تلاحما مع تطلعات الفدائي الثوري الذي يناضل منذ
اعوام لاسترداد ارضه السليبية .. ولكن ما هو البديل الذي يضعه
العمل الفدائي عبر رؤاه الشعرية ؟

« وذئابا في حقول الريح .. ظمأى ترصد
تذبح الشمس على ابوابنا
ان شرفات من النور سننثال
وافراحا ستواد

ودما يرقص مذبوحا على الشوك
وصبحا سوف يولد .. »

ولكن متى ؟ .. يجيب الشاعر :

« بعد اعوام .. اسابيع .. هنيهات .. سيولد »

وهذا الولود الجديد هو النظام الثوري الذي يصنعه الفدائي
في فلسطين الحرة المتحررة بعد ان يزيل المسخ الصهيوني الامبريالي
(اسرائيل) من الوجود ..

فالطموح الفدائي ، اذن ، يتركز ليس في كسب المعارك الآتية ،
حسب - مع التوقعات النامة لحدوث اكثر من عدوان جديد - بل باعادة
خلق وبناء فلسطين الحرة التقدمية ، وعودة الشعب الفلسطيني صاحب
الحق الطبيعي المشروع لارضه ..

ومع هذا الجو المشحون بالالم والتربق : « سنظل مقمرة عيون
الجرح .. » لتتير الدرب للمناضلين لتحقيق الهدف المنشود :

« ويطوف من دار لدار
وهجا من الاصدا
قنطرة

تفود الهائمين الى النار » (ه)

و « النار » - هنا - تأكيد جديد ، يمنح مفهوم الانجاز الذي
تحققه افعال الفدائي الثوري ، عبر هذا النضال الخصب ، والتضحيات
الاكثر خصبا ..

لذا فاشعار الفريد سمعان تمنحنا بعدا اوسع لاعمال الفدائي
الثوري وتطلعاته المقبلة لتحقيق النصر المحتوم ..

(٢) الاغنيات ولغة الآخرين :

ماذا يمنحنا الشاعر من خلال الاغنيات ؟ وهل ارضية الشاعر
تمنحنا تشكيلا ثوريا لافكار المعركة ؟ وهل بلغت الصيغة الشعرية شكلها
المطلوب ، وهل ان التجربة الشعرية لدى الشاعر هي تضمخ وجدانات
تلقائية وانسكابها في اطار القصيدة ام اعادة تشكيل وبناء عالم شعري
خاص يعتمد الحياة المعركة والعمل الفدائي الثوري كمحور في التناول؟
هذه الاسئلة تارت في ذهني عندما وقفت ازاء ما كتب عن الاغنيات
من قبل الشاعر ومن قبل الاصداقاء ردا او تعريفا او احتجاجا ..

وباعتقادي ان مناقشة اية مسألة شعرية هذه الايام لا تتم بمعزل
عن الارضية الفكرية التي يعتمدها الشاعر وينتمي اليها ، ثم عن القيم
التي يطرحها المجموع الشعري ، لان نمة اكثر من دعوة تبرز اليوم لقطع
صلة الشعر عن الماضي باسم التجديد ، لسم تعتمد الفهم الصحيح
لمركبات واسس البناء العضوي للقصيدة ، وللمرحلة النضالية التي
يعيشها انساننا العربي ، اليوم ، والفدائي الثوري ، بخاصة .. ومن
هذا الاعتبار بالذات نرج في مناقشتنا على هذا الموضوع ، لانه يشكل
لغة الآخرين البعيدة عن لغة الفدائي الثوري والانسان العربي عموما .

ان الذين يحاولون قطع الشعر من صلته بالماضي بدعوى « التجديد
في الشكل الفني » يقعون في خطأ « فوضوي » كبير ، فان « مسألة
امتداد صلة النسب في الطبيعة والحياسة الاجتماعية ترفض المفهوم
المتنافيزي الذي ينكر الترابط الداخلي بين الظواهر .. »

(ه) الى القنيطرة : اغنيات للمعركة - الاداب العدد التاسع ايلول

١٩٦٨ .

يقول لينين بعد تأكيده على بلاهسة الفكرة الفوضوية القائلة
بالقطيعة مع الماضي ، او التدمير التام للماضي كله ، ثم عبر تبينه
للمو الذي ينبغي ان نفهم عليه قوانين الجدلية : « ان النفسي الخالص
والبسيط ، النفسي المجاني ، النفسي الارتياحي والتسردد والشك ليست
بالخاصة الاساسية المميزة للجدلية ، صحيح بلا ريب ان الجدلية
تتضمن عنصر النفسي الذي يعطي لحظة اتصال ، لحظة نمو ، مع الاحتفاظ
بما هو ايجابي ، اي انه النفسي الخالص من ادنى التردد ، من اية شائبة
من شوائب الانتقائية » (٦) .

لذا فالذين يهاجمون الشعر الحديث وينعون لشعر « ضد الشعر »
- ان صح التعبير - لان الشعر الثوري الحديث لا يسقط في التجريد
اللواعي للاشكال الفنية ، يسقطون عامل التاريخ والايديولوجية من
الحساب ، من ثم لا يعالجون المعرفة عبر عملية اعادة نظر نقدية .. وبهذا
يلتقون - من صحاح مجلة « شعر » و « حوار » وغيرها - بما كان
عليه البروليتكولت قبل عام ١٩٠٨ في روسيا ، فسي نكران الامتداد
والتواصل في الفكر الانساني ...

ان هذه الدعوة تفت في الجبهة الاخرى من الشعر الذي يختم
قضية الفدائي الثوري عندنا .. والاتى من ذلك ان بعض هذه الاصوات
لا تنكر الاشتراكية كهدف وفكر وطريق في حين « ان الثقافة الاشتراكية
لا يمكن ان تفبرك على نحو اصطعاعي ، كذلك ليس بوسعها ان تولد
بمجرد عملية « استنساخ » او « نقل » للتراث القديم ، او عن طريق
الجمع الميكانيكي لعناصر مستعارة .. بل الامر يقتضي عملية انماء لما
هو افضل في الثقافة الموجودة واعادة التفكير به بروح النقد من وجهة
النظر الماركسية » (٧) ..

يقول لينين في مكان آخر : « ليست المسألة ان نخترع ثقافة
جديدة بروليتارية ، بل هي ان نمي ونطور أبهى النماذج والتقاليد
وحصيلات الثقافة الموجودة ، من وجهة النظر الماركسية عن العالم » (٨)
وازاء كل ذلك تفت « اغنيات للمعركة » موقف الحاكم الذي يميز ،
بعين ثورية ، بين لغة الفدائي الثوري (في الشعر) وبين لغة (الشعر
اللاشعري !) ، ويضع اكثر من لمسة ادانسه للذين يحاولون « رفض »
الشعر الثوري ويطالبون بلغة تنبع من الداخل ، لتعبر عن الذات
والوجود والعدم ... الخ ..

صحيح ان لغة الشعر الآن لم تعد كما كانت قبل عشر سنوات ،
ولكن الحديث عن (الشكل والمضمون) ووحدتهما بات من المسلمات
المطروحة للنقاش ائذاك ، اما الآن فلغة الشاعر ، هي لغة العصر ، لغة
الارض التي يقف عليها ، ومن هنا « فالكلمة والبندقيه هما رفيقا
المعركة .. » كما اكد على ذلك الدكتور سهيل ادريس مؤخرا ..

ولم تعد لغة « يوسف الخال » و « ابي شقرا » ورهطهما ،
تناسب ، مع الصمود الثوري الذي حققه شعر المقاومة والفداء ..
وصحيح أيضا اننا كنا نتوقع من الفريد سمعان الشاعر والانسان ،
ان يمنحنا شعرا اكثر غنى وفنية كحصيلية طبيعية لتجربته الحياتية
والشعرية الطويلة ، ولكن الاغنيات منحننا في مقاطعها العديدة ، لوحة
نقية عن المعركة ، فهو حين يعني الى فدوى طوفان يجسد لنا تشكيلا
ثوريا يفيض بحس اللحظة التاريخية ، وزمان ومكان المعركة :

« عيناك في حيفا

وقلبك في تراها

كالنجم يخفق في سناها

يصطف عبر كرومها الوفاء

يضفر من رؤاها

حزما .. ترانيمنا

(٦) لينين : المؤلفات ج٢٩ نقلا عن مهمات الثورة الثقافية تأليف

فلاديمير غوربونوف .

(٧) المصدر السابق .

(٨) لينين : ج ٣١ ص ٣٢٨ الطبعة الروسية .

يرش بها الصحارى ..

في هذا المد الرومانسي الثوري تسبح قصائد الفريد وتشكل ثوريا ، أما فعل الفدائي الثوري فيتضح عبر فعل الكلمة - البندقية ، شعريا ..

(٣) الأفعال الثورية في الأغنيات :

حين قال بلند الحيدري مرة عن الشاعر انه : « شاعر عاش الصحراء عطشا وشمسا وسجنا رهيبا في وحشتها عرف السراب واقعا ورمزا ، ومن خلال ذلك كله كانت تنمو قصائده دائما معاناة حسية لا تتكشف فيها الرموز ولا تستعير الكلمات قناعا » فقد حقق بلند فهم التوازن السليم في الأغنيات كأفعال ثورية ، من خلال فهم العلاقة الواجبة بين فعل الكلمة « المعرفة » وفعل الكلمة « الشعرية » الثائرة .. وبعنفادي ان بين الفيلين ديناميكية ينبغي ان تكامل عند الشاعر بتقنية اكثر لكي تكتسب اشعاره شموليتها اليقينية المؤثرة ، على ان لغة الشاعر اليوم ، هي لغة الحركة الحسية ، لا الحركة المفخمة بالكلمات وحدها ..

ان افعال الأغنيات تكتسب اهمية خاصة آتية ، وتاريخية ، ليست لانها تعبير الانسان المضطهد فقط ، بل وبالاساس لانها تمخضات الحاضر المنازم الممتد عن ماض متنازم ، والمنطلع الى مستقبل رغم كل ما يحيط الاق من دخان وضباب ، يحمل لفة الايجاب والانجاز الانساني عبر التفاؤل المشرق المؤطر بالنضجيات .. هذا الشاعر المتطلع عبر قصائده لمستقبل يخاطبه بتشكك ويحذر ، ولكن بايمان السذي يضع افعاله الثورية لتحقيق البديل الاروع .. وبلغة بسيطة غير مقنعة هي امتداد لرومانسية الصحراء ، وواقعيتها المضيئة .. فالأغنيات تحمل رومانسية الشاعر الثوري ، وهي عبر صوتها الخالص ، نمو طبيعي وطيب لالفريد سمعان ، ولكنه ليس النمو المطلوب فنيا ، كما يجب .. اما معركيا فتمتد القصائد الى جذر أعمق من الفهم المسطح للمعركة .. فالفريد حين يخاطب السجن : « يا منزلا رقدت على شرفاته .. هذب الارامل » يضع مأساة الناس وتفاعلهم الثوري أيضا في توازن تام :

« يا واحة عصفت بها العقبان
واختنقت دموع الفيت
فاحتضرت خمائل
مليون سنبله تجوب الارض
تفرق باللطى والطين
تبحث عن مشائل .. »

وفي هذا التضاد اللوني ، يطرح الفريد فكسره الثوري عبر الأغنيات ، وان كانت لا تخلو من مباشرة وخطابية ، احيانا .. ولكن الأفعال الثورية تنمو من داخل القصائد مع الحدث لتعبر بوضوح المعاني والمتالم ، ولكن الشاعر أيضا :

« يا حاصدين شجونكم بالدمع
يا ليلا يلوح بلا مشاعل
افراحتنا نعشى
سواد عيوننا فحم
اذا احتدم اللهب
ولم نقاتل .. »

وهذه الروح الفدائية في شعر الفريد تجسد الأفعال الثورية التي تتشكل منها الأغنيات بوجدان طياغ وعينيد : « اذا » الشرطية .. « احتدم اللهب » .. « ولم نقاتل » .. « فالقتال » هنا هو الفعل الثوري الاغنى والاكثر تعبيريا عن الضرورة التاريخية ، والفريد يربط افعاله ربطا طيبا .. فالأغنيات تحمل مرارة الجباه الشم التي كانت تنطلق عبر الجدران ، وعبر الاسوار العالية ، وعبر المسافات البعيدة ،

الى جنود الجبهة ، والى الفدائيين البواسل ، ولا تستطيع الاسهام في المعركة المنتهية ، الا عبر نضال - من الداخل - وليس على خطوط النار الاولى ، حسب ..

لذا فحين تلد الاغنيات في ظلمة السجن مفهومها التحليلي للاوضاع ، ولمعركة الغداء ، تعتمد « الثورة » محورا ، وتنطلق من هذه الارضية لتعبر بالصورة وبالكلمة ذات الدلالة الموحية غير المقنعة عن واقع المعركة ، عبر ايمان مطلق بان الثورة لا تحتاج الى لغة مزوقة او معقدة او مقنعة !.. لذا فقد « انسابت » افكار الشاعر « في دمه فلم يعد مضطرا على افتعال المواقف وادعاء ما ليس له ، وعلى ان يكون شعره تكرارا لشعارات باتت في متناول كل تاجر ، انما هو تجارب ومعاناة وتنعج » - كما يقول الدكتور علي جواد الطاهر - ..

(٤) رباعية التناغم في الأغنيات :

ان تقسيم الديوان الى ثماني قصائد تتداخل شكلا ومضمونا في بعضها لتشكل قصيدة واحدة ذات ثماني حركات ايقاعية ، ينمو داخلها الحدث ، وتنمو عبر الحدث الرؤية الفدائية الثورية ، لتحقيق وجودها كسيمفونية فدائية ذات لغة ثورية ، تحمل عطاءها هكذا :

- (١) الى القنيطرة
- (٢) الى الطيار ابي سلمى
- (٣) الى فدوى طوقان
- (٤) الى تائه في سيناء

هذا الرباعي التناغم يحقق زمنا تتابعا وتدرجا في حركة الفعل الثوري الذي ينمو من القنيطرة - المكان والبطولة - الى : ابي سلمى : الطيار رمز القوة الضاربة - الى : فدوى طوقان : (الصيحة الشعرية الترائية ذات الصوت الممتد من تاريخنا الثوري والفدائي وتقاليدنا الى حاضرنا المعركي ، اذ ان فدوى هي المحفز والمثير والداعية ، فهي كوجود شعري ، لا كقصيدة فقط ، تشكل خلفية حضارية وتاريخية للحدث اليومي ، ومع ان فدوى موجودة في صميم المعركة ، لكنها الرمز ، أيضا لكل النساء العرييات المجاهدات من الخنساء الى السجينات الان في سجون اسرائيل .. والى كل النساء اللواتي يقفن في المعارك الى جانب المقاتلين ، فيغزلن اغنيات واشعار النخوة ، ويصورن الالسم ويشرن العزيمة .. فهي اذن الرمز الحي الذي ينمو مع الحدث ليحقق فعله الثوري محليا وعاليا - .. الى الحركة الرابعة : تائه في سيناء . حيث الانكسار العسكري هو الواقع الآخر ، البعد السلبي الى جانب ايجابية التفاصيل في المعركة :

- « نعب الحنين
ولن تعود
عيونك الوسنى لتنعم بالرقاد
النار تمخر في الضلوع
والرمل يلتحم الرماد
والرعب يفرغ حفده المكبوت
امطارا .. يلون بالحداد
دفع المضاجع .. فرحة الواحات
يفترس اليهود
الليل يفرس حزمة الاشواك
في حلم النهود
السدود ..
يلتهم الحدود .. »

ومع ذلك فان لغة الشاعر لا تخلق السلبيات كصور او مضامين تفرحها الارضية الحالية ، او ارضية الخامس من حزيران ، بل يمتد

هذا التناغم والتضاد اللوني عبر السنين السابقة :

((كانت تنوق الى الغد المأمول

كانت في الشفاه

شجنا تـؤرجحه الوعود

عشرين صيفا

احرفا تشقى على صفة الحدود))

وهذا التشخيص لتاريخية اسباب النكسة ، طرح فعسل الانجاز ليس في تخطي خطوط النار ، حسب ، بل وفي تخطي وتجاوز الانكسار والنكسة وواقع التيه .. وهي الحركة الرابعة من رباعية التناغم في الاغنيات .. والتي هي لا تقع في حدود سيناء ، بل تمتد الى رقعة اكبر من الناس والارض والانظمة .. اما الرباعي الآخر فيتشكل عبر حركات اخرى هي :

(١) شيء من الحزن

(٢) تحية الى النجوم

(٣) الصرخة الاخيرة

(٤) ظل على وجه الجراح

وهي التجسيد الملتحم بفعل الكلمة الشعرية - عبر تداخلها في الفعل الفدائي الثوري ، اذ ان الاغنيات هنا تظل تحمل عيسر لفتها الشعرية ثنائية في التضاد بالصورة والموقف ، الى جانب ما اشرفنا اليه ، لتعمق التناغم في ايقاع الصور الشعرية والافكار فتتشكل كقصيدة شمولية طويلة ذات اقسام متعددة .. والتشكيل الثوري الذي يتحقق عبر الثنائيات المتضادة يظهر على امتداد صور القصائد الثماني:

أ - جذلى شفاه الراقدين .. على تراك بلا كفن

ب - مدي قنيطرة البسالة مشعلا .. يطفي تباريح الشجن

أ - تقوى رياح الموت والزفرات .. في ليل السجون

ب - وانت اقوى .

أ - ويفالز الطاوس عصفورا

ب - يلوذ بدفته ذعرا .. ويرسل الف شكوى

فهذا الترابط بين ((شفاه الراقدين)) كواقع - نتيجة ، مع ((مدي قنيطرة البسالة مشعلا)) كواقع - ضرورة هذا التداخل الحركي بين الواقع الموجود والتطلع المشروع الذي يتحقق عبر العمل الثوري ، هو رؤية الفدائي السليمة للاشياء ..

ففي ((اقوى)) - مثلا - يتجسد التصميم النبيل لرحلة المناضلين في مناهات الحياة والسجون من اجل ان تظل في عيون الناس ومضة حب للادوع ..

وان في هذا التضاد الذي يطرحه الشاعر عيسر صورته وافكار قصائده ، يمنحنا اليقظة المستمرة والتماس الاكثر بالثورة ..

ان لفة الفريد سمعان هي لفة الفدائي الثوري الذي يناضل على اكثر من جبهة ويدرك ان حس الثورة الاصدق هو الحس النابع من ادراك مبررات الواقع الموضوعي وقوانين الحياة والطبيعة ، بما يخدم قضية الجماهير الكادحة ، لا ان تنطلق من مبررات الوصول الخاطيء للهدف عبر تسلق انتهازي لكف الجماهير الكادحة بالوسيلة اللامشروعة والمرجلة ، اذ ان تطلع الشاعر يحقق المستقبل الافضل الحتمي عبر الثورة وان :

((صبجا سوف يولد

بعد اعوام

اسابيع

هنيهات .. سيولد))

وهذا الزحام الزمني غير وارد ، فالفدائي الثوري يدرك ، حين يمتلك رؤاه السليمة ، اي وقت بالذات تتفجر الثورة ، اذ ان شروط

الثورة المادية والذاتية ، حين تتكامل ، لا يمكن للثوري ان يخطيء التقدير ولا يكون عمله في مستوى التوفيت السليم للتحرك ، والا فسوف يخسر الثورة ويخسر الطرف الناصح موضوعيا وذاتيا ، واذ ذلك ، تكون هذه الامكانيات بخدمة جهات اخرى قد تكون قوى الثورة المضادة بالذات .. لذا فالفرق بين ((الاعوام)) و ((الهنيهات)) فرق كبير جدا .. لكن تفاعل الشاعر قرب المسافات وحاول تجميع الزمن فسي بؤرة الحدث الثوري او في بؤرة التطلع الثوري ، وحاول ان يحقق عبر لفته الشعرية قفزة كبيرة .

ان ((الصبح)) الذي يحمل دلالة الثورية يتبلور هنا في القلب من الطموح حين يقرب لنا الشاعر زمن الانتصار تحفيزا منه لنا لتحويل المكنات من الامور الى ضرورات تتحقق عبر العمل الثوري المثابر لكي يولد الصبح ((بعد هنيهات)) او ((اسابيع)) او ((اعوام)) ..

ان هذا الخصب التفاضلي في الاغنيات المضمخ بحزن الواقع المرير ، ينبع من تصميم انسان الثورة لتحقيق كامل اهدافه ، وخلق الابداع الاحلى والاروع لمجتمعه الافضل وصنع التاريخ البشري على ارضنا العربية ، كي لا نظل نلهث وراء الاحداث ونفتقد امكانية استغلال الطرف الموضوعي الناصح لتحقيق الهدف الثوري المطلوب ..

ان احلام الشاعر غزيرة في هذه الاغنيات ، ومع انها تقترب بالايمان الاذلي بالثورة الوجه ، والثورة الصفاء ، والثورة التنقية ، فان البعد الاكثر اهمية وعمقا الذي تحمله الاغنيات تشكيل ثوري ، هو البعد الفدائي الثوري المعاصر المتدفق حيوية والتصاقا بالارض .. ان ثورة الفدائي تظل تتطلب نقاوة في صوت المغني واصالة في تشكيله الثوري . وقد كانت ((اغنيات للمعركة)) تحمل لمسات هذا الصوت وبعض نبراته .

محمد الجزائري

بغداد

شعر

من منشورات دار الاداب

٧٠ ل	الاعاصير	●
٢٥٠	للشاعر الفروي	●
٢٠٠	وجدنها	●
٢٠٠	لغدوى طوفان	●
٢٠٠	وحدى مع الايام	●
٢٥٠	اعطنا حبا	●
٢٠٠	امام الباب المفاق	●
٢٥٠	لم يبق الا الاعتراف	●
٢٥٠	لاحمد ع. حجازي	●
٣٥٠	ديوان ابراهيم	●
٢٠٠	في شمسي دوار	●
٢٠٠	لابراهيم طوقان	●
٢٠٠	في شمسى دوار	●
٢٠٠	لغوازي عويد	●
٢٥٠	حدا و غناء	●
٢٥٠	احلام الفارس القديم	●
٢٥٠	لصالح عبد الصبور	●
٢٥٠	اقول لكم	●
٢٥٠	لصالح عبد الصبور	●
٢٠٠	اناس في بلادي	●
٢٠٠	لصالح عبد الصبور	●
٣٠٠	مأساة الحلاج	●
٢٠٠	لصالح عبد الصبور	●
٢٠٠	فلسطين في القلب	●
٢٠٠	لعين بسيسو	●
٢٠٠	كلمات فلسطينية	●
٢٠٠	لحسن النجمي	●
٣٠٠	بيادر الجوع	●
٢٥٠	للدكتور خليل حاوي	●
٢٥٠	سفر الفقر والثورة	●
٢٥٠	لعبد الوهاب البياتي	●
٣٠٠	الحياة الحب	●
٣٠٠	لابراهيم محمد نجا	●